

الأسرة أساس غرس التسامح

د. لطيفة حسين الكندري

- ١..... الأوقات العصبية
- ٢..... مبررات العناية ببرامج الشباب
- ٢..... نموذج لتضليل الشباب
- ٣..... العلم يحارب الإرهاب
- ٤..... سبل تفعيل دور الأسرة في نشر ثقافة التسامح

الأوقات العصبية

لقد امتُحنَت الكويت في الآونة الأخيرة بالأحداث الإرهابية التي هزت ضمير كل إنسان يعرف قيمة السلام والأمن والديمقراطية والاستقرار. إن فؤاد كل مسلم يتألم عندما يستشعر فداحة إراقة الدماء كجريمة نكراء. لقد قام رجال الأمن بالوسائل بدورهم البطولي الخالد في مواجهة فلول الإرهاب، والوضع الراهن يتطلب من كل أسرة كويتية وغير كويتية أن تقوم بدورها التربوي المنشود لتوجيه فلذات الأكباد نحو طريق الرشاد.

سيتطرق هذا المقال إلى الإشارة لبعض أسباب التطرف، ودور الأسرة الحيوي في نشر ثقافة السلام والتسامح في ظل معطيات أصول التربية التي تعين الفرد على التغلب على المحن. إذا كانت أحداث ١١ - سبتمبر ٢٠٠١م طامة كبرى هزت العالم كله، فإن الأحداث الإرهابية الإجرامية التي حدثت في دولة الكويت في غاية الخطورة، وأعتقد أنها محطة لا مفر منها لليقظة والحذر لتغيير الكثير من المسلمات

المتعلقة بالأمن، ومراجعة جميع المعطيات المرتبطة بالمستقبل على مستوى التطبيع الاجتماعي الأسري، والمدرسي، والمجتمعي لمعرفة موطن الخلل، وتجنب الكوارث الفكرية التكفيرية التي راح ضحيتها الأبرياء من شهداء الواجب.

مبررات العناية ببرامج الشباب

إن العناية ببرامج الشباب أسريا ومجتمعيا لها أهمية بالغة؛ إذ أن الأطفال والشباب في الوطن العربي يمثلون نسبة كبيرة قد تصل إلى ٤٥ ٪ تقريبا من السكان أي أن هناك أكثر من مئة مليون طفل عربي ، ومجتمعنا الكويتي ترتفع فيه نسبة الفئات العمرية الشابة لتصل إلى ٦٢ ٪ تقريبا من مجموع السكان الكويتيين. وتأتي خطورة ارتفاع النسب المذكورة سابقا إلى حاجتها لعناية تامة وبرامج تثقيفية ذات مواصفات خاصة تتضمن التربية السلمية انطلاقا من ثوابت ثقافتنا الوطنية، ومرورا بالتجارب النافعة قديما وحديثا في شتى الثقافات الإقليمية والعالمية.

**لا للإرهاب مهما
كانت الأسباب.**

وإن التربية الوقائية تحتم استخدام تربية المجادلة والتي هي أحسن والتي تقتضي تنمية الفكر الناقد عند الجيل الصاعد. وأقصد بالقاعدة السابقة أن يميز الشاب

بين الدين والتدين، بين الشرع والفقه، بين الرأي والحقيقة، والإصلاح والوصاية، فينبذ إلحاق الأذى بالآخرين ويناقش الأفكار الدخيلة في ضوء المصالح الوطنية الكبرى ولا ينحرف مع الفكر العاطفي الذي يزين له الباطل الذي قد يجده على صفحات الإنترنت أو يسمعه من أصدقاء السوء أو الجماعات الضالة التي ربما اتخذت من المسجد وشعائر الإسلام مدخلا لترويج الأفكار المنكرة. إن بناء العقل الناقد وتجديد الخطاب الديني من ضمن الأولويات التي تفرضها طبيعة المرحلة القادمة. إن الشباب طاقة هائلة إن لم تنشغل بالخير فستشغلنا بالشر.

ثمة مشكلة فعلية يعاني منها بعض الشباب والتحرك الفوري مطلوب.

نموذج لتضليل الشباب

إن الأسرة دائما متفائلة واثقة وهكذا يجب أن تكون والتفائل لا يعني ترك الحذر بل لا بد من معرفة طرائق إغواء الشباب التي تستخدم لغسل العقول تدريجيا فيتحول الشاب اللطيف المحب لوطنه، البار بأسرته إلى مخلوق عاق. الذي يتفحص كتب المتطرفين مثل كتاب إعداد القادة الفوارس بهجر فساد المدارس لأبي محمد المقدسي (عاصم بن محمد بن طاهر البرقاوي) سيجد تعبئة نفسية وعقلية جلية وتفصيلية ضد الدول، والحكومات، والمنظمات التعليمية، ويدعو الكاتب صراحة إلى اعتزال المدارس ويفضل ترك الوظائف الحكومية ثم يحتقر الدستور الكويتي والنشيد الوطني، وكتب بإسهاب عن المناهج التعليمية الكويتية ودورها في نشر الضلال. لقد اطلع ما لا يقل عن (17626) قارئ على ذلك الكتاب الجائر. إن مثل هذه الضلالات- وغيرها أكثر وأمر- لاقت للأسف الشديد رواجاً في صفوف العقول المريضة وشحنتها، وما زالت تشحن الشباب العربي ضد مجتمعاتهم المسلمة الآمنة. لقد اختار المتطرفون طريق الهدم لأن عملية البناء والتعمير عملية طويلة وشاقة ومستمرة وتبدأ من النفس كما أنها تستوجب احترام المجتمع بجميع طوائفهم والتعاون معهم وإحسان الظن بهم.

العلم يحارب الإرهاب

بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١ م الدامية، ناقش العالم الكبير: ليون ليدرمان^١ - الحائز على جائزة نوبل في الفيزياء - موضوع الإرهاب (Terrorism) من منظور علمي تربوي، ومن المفيد استعراض بعض خبراته هنا. لقد شدد ليدرمان على ضرورة غرس مهارات التفكير :

(inculcate a way of thinking)، ووضح أهمية التعلم والتعليم:

^١ <http://nicol.club.fr/ciret/bulletin/b17c17.htm>

(We must teach; and we must learn)، وطالب بمعالجة الجهل، أو كما يقول الحرب ضد الجهل (war on ignorance)، ودعا إلى معرفة طبيعة العلوم العصرية إذ أصبح العلم لا وطن له، وإلى دراسة الثقافات المتنوعة، ومراجعة المناهج، والتعليم خارج نطاق المدرسة، وترسيخ قيم الديمقراطية والسلام .

سبل تفعيل دور الأسرة في نشر ثقافة التسامح

ثمة استراتيجيات هامة لتفعيل دور الأسرة في نشر ثقافة التسامح والحب

والمودة وسأذكر بعضاً منها في النقاط التالية:

تربية التسامح
أساسها الأسرة
وقوامها القدوة.

- فتح قنوات الحوار الثنائي والجماعي البناء بين الوالدين وبين الأولاد في فترات منتظمة ، فإن الحوار الدوري يقي العقل من نمو التوجهات السلبية، ويجنبها اكتساب الميول العدوانية في سن

مبكرة ويجتث الفتن في مهدها وقبل أن تصبح ظاهرة العنف مستشرية فكراً وتطبيقاً.

الحوار الهادف يقي الجميع مصارع السوء، والفكرة السيئة كمستصغر الشرر يجب التعامل مع آثاره قبل فوات الأوان.

- إحياء تراثنا الكويتي الأصيل المتمحور حول قيم المودة والعشرة الحسنة مع الأقرباء والغرباء على حد سواء.

إن الاقتداء
بمحاسن الآباء
من شيم
النبلاء.

قال مصلح الكويت يوسف بن عيسى القناعي واصفاً صلاح جيل الأجداد " لا يجري بينهم تقاتل ولا تضارب".

- ملء الفراغ بأنشطة نافعة ومتنوعة حسب ميول الأطفال والشباب.

- الإيمان الواعي بالديمقراطية كآلية للتعايش والانفتاح في المجتمع المدني.
- التركيز على مقاصد الدين من مثل أن الدين يسر وجمال وتفاؤل لقوله تعالى "يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ" _ (البقرة الآية ١٨٥) . وعن أبي موسى، قال: قلت: يا رسول الله! أي الإسلام أفضل؟ قال: "من سلم المسلمون من لسانه ويده" (رواه مسلم)، ومن هذا القبيل تعظيم دماء الناس وحرمة إراقتها، والاعتصام بالتماسك وعدم التفرق. إن طلب العلم جهاد، وجهود الشباب يجب أن تتوجه إلى ذلك الغرض النبيل الذي فيه نهضة للوطن ، ومن الخداع تعبئة عقولهم، وإثارة نفوسهم، وشحن أرواحهم بالغلو تحت راية الجهاد فهذا ظلم وتزوير والإسلام دين سلام ولا مجال أبدا لسفك الدماء البريئة وتبرير القتل. لقد ضيق بعض المسلمين سعة الإسلام وفي شأنهم قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ" قَالَهَا ثَلَاثًا. أي: هلك المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم (صحيح مسلم بشرح النووي).

- إن تغيير التصورات أساس تعديل التصرفات.
- التنوع في الثقافة القرائية والتعليمية في دائرة الأسرة وخارجها ؛ فالذهاب إلى حلقات العلم داخل المساجد أمر جميل ولا يتناقض أبدا مع قراءة الشعر، ومعرفة ثقافات الشعوب، والتبحر في العلوم غير الشرعية والتمتع بالفنون الجميلة على اختلاف أطرافها. إن أنشطة الأسرة وحواراتها يجب أن تقرر بين الثقيف الديني والدينيوي.

- تبصير الناشئة بأساليب المكر والخداع التي يستخدمها المتطرفون من الفتية أصحاب الفتنة عندما يقومون بترويج أفكارهم التكفيرية حيث أنهم يستخدمون الإمعان في السرية في العمل، والسفر المباحث، والاجتماعات المغلقة، وتسفيه رأي المخالفين، واستخدام العنف اللفظي والفعلي، والأسماء

الحركية للتمويه والتخفي، والتمويل المالي الخارجي أو غيره، والاقتصار على قراءة رسائل محددة مجهولة المصدر.

- من المفيد جدا أن نجلس مع أبنائنا لنعرف بعض المواقع التي يزورونها على شبكة الانترنت لا لتجسس عليهم ولكن لمتابعتهم بحكمة وتوجيههم برفق فإن الحاسب الآلي يلعب دورا كبيرا في بناء القيم وهدمها فهو سلاح قوي يحتاج إلى الوعي في استخدامه والإيمان بإيجابياته وعدم الاستهتار بسلبياته.
- لا بد من توفير بيئة نفسية آمنة لأطفالنا لاجتياز هذه الفترة العصيبة إذ قد تنمو مشاعر الخوف عند بعضهم بفعل التخيل والوهم وسماع تفاصيل الأحداث المرعبة، أو رؤيتها على صفحات الجرائد. يحتاج الطفل في الأزمات خاصة إلى المزيد من القرب والتواصل ولعل القصص المسائية ذات النهايات السعيدة تحقق له مخزونا نفسيا وفكريا كافيا لفهم الأمور والتعامل معها بشكل سليم.
- التأكيد على حب ارتياد المساجد ومصاحبة أهل الخير والصلاح لأنهم يجوبون كل الناس ولا يرتضون العبث بأمن وسلامة الوطن أبدا.
- الاستفادة من كتب أصول التربية في تثقيف الشباب، وتوجيههم، لأنها تقدم لهم ثمرة العلوم النفسية، والاجتماعية، والتاريخية في موضوع التنشئة الصحيحة، والشخصية المتزنة، وأساسيات التغيير والتعبير. إن طائفة من الكتب الدينية تصور قضايا الموسيقى، والاختلاط، واللباس، كقضايا قطعية نصية أساسها التحريم وتحتل المسائل، وتسطح الأمور، وتضيق واسعا، وتنتج كرها... مما قد يولد شعور الاحتقار والاحتكار لفكر الآخرين، ومن ثم نبذ المجتمع كله، وهو الأمر الذي قد يشكل توترا وتشددا في العقل، وتناقضا في الواقع عند المتطرفين الذين ابتعدوا عن مدارج التربية الدائمة، والبحث العلمي المتقن، وقبول الاختلاف، واحترام التعددية الفكرية

والثقافية. في الأمس صرف المتطرفون الأوقات في مواجهات فكرية متشددة
لحسم القضايا الخلافية الجزئية، وتركوا تعمير الأرض، والجامعات، والمكتبات،
ونشر قيم الحب بين الناس ، واحترام العمل والوقت ، وتشجيع القراءة .. ثم
هاهم اليوم يهلكون النفوس ويفتحون باب الفتن تحت راية الجهاد، والجهاد
منهم بريء، وبجهلهم المركب الخطير لم يفرقوا بين التعمير والتدمير.

ومن الدروس الخالدة التي نستلهمها من وحي هذه الفتنة العاصفة
ويحتاج إلى معانيها الجليلة الجليلة جميع الأبناء: أن الشهداء هم الأصفياء
وكانت أرواحهم للوطن فداء. يقول الله تعالى "وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ
وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (سورة _
البقرة الآية ١٥٥) وفي ذلك خير عزاء لأهل البلاء من ذوي الشهداء.